بسم الله الرحمن الرحيم

فتح الكريم المنَّان بفضائل شهر شعبان

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين وبعد..

فإن شهر شعبان من الأشهر الكريمة والمواسم العظيمة, وهو شهرٌ بركاته مشهورة, وخيراته موفورة, والتوبة فيه من أكبر المغانم الصالحة, والطاعة فيه من أكبر المتاجر الرابحة, جعله الله مضمار الزمان, وضَمِنَ فيه للتائبين الأمان, من عوَّد نفسه فيه بالاجتهاد, فاز في رمضان بحُسن الاعتياد.

ومن القواعد المقررة عند أهل العلم: أن الزمان يَشرُف بما يقع فيه من الحوادث التي هي أصل في إعطاء القيمة الاعتبارية للزمان, وبمقدارها يكون مقداره, وبفضلها يكون فضله, وكلما كان ارتباط الناس بالحادثة قويًّا وتأثرهم بها عظيمًا, كان ارتباطهم وتأثرهم بالزمان الذي وقعت فيه بنفس القوة.

ومن هذه القاعدة ننطلق إلى كل برٍّ وخير ومعروف, وهي كلها بإذن الله مقبولة, لأنها بهذه القاعدة الأصولية مشمولة, لأننا حين نحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف أو ذكرى الهجرة أو ذكرى الإسراء والمعراج, أو بمناسبة شهر شعبان, إنما ندعو الناس إلى الارتباط بعقولهم وقلوبهم وعواطفهم بالحقائق والحوادث التي تملأ ساحة هذه الأزمنة, ليس تعظيمًا لها, أو تأليهًا, وإنما تعظيمًا لله الذي خلق الزمان والمكان, تعظيم العبد للرب الخالق, وتعظيمًا لمن كان السبب الذي قام بها وقامت به, تعظيم المُحبِّ للحبيب, لصاحب الفضل الذي اختاره الله تعالى ليكون صاحب هذه الحوادث والوقائع.

وفي شهر شعبان من الحوادث والوقائع ما يستحق الاهتمام والعناية, وصَرف الهِمم وتوجيه الأنظار بالاجتماعات والاحتفالات, نذكر منها:

- **تحويل القبلة:**

كان في شهر شعبان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة, وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر ذلك برغبة قوية, ويقوم في كل يوم مُقَلِّبًا وجهه في السماء, يترقّب الوحي الرباني حتى أقرَّ الله عينه وأعطاه مُناه, وحقّقَ مطلوبه بما أرضاه, ونَزَل قول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(سورة البقرة: 144), وقال أبو حاتم السبتي رحمه الله تعالى: "صلَّى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيام سواء, وذلك أنَّ قدومه المدينة كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول, وأمره الله تعالى باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان".

- **رفع الأعمال**:

من مزايا شهر شعبان المعروفة: رفع الأعمال فيه, وهو الرفع الأكبر والأوسع, وقد جاء في الحديث عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قلتُ: يا رسول الله**!** لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان**!**, قال: ﴿ ذاك شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان, وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين, وأُحِبُّ أن يُرفعَ عملي وأنا صائم ﴾(رواه أحمد والنسائي), وليس هذا الرفع خاصًّا بشعبان, بل جاء في الأحاديث الشريفة ما يدل على تعدد رفع الأعمال في أوقات مختلفة, ولا تنافي بينها, فإنَّ لكل رفعٍ حِكَمًا تتعلق به.

- **فضل الصيام في شعبان**:

عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: "لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصوم شهرًا أكثر من شعبان, فإنه كان يصوم شعبان كله"(رواه البخاري), وروى مسلم عنها قالت: "كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتى نقول: قد صام, ويفطر حتى نقول: قد أفطر, ولم أره صائمًا من شهر قد أكثر من صيامه من شعبان, كان يصوم شعبان كله, كان يصوم شعبان إلا قليلًا".

قال الشيخ مُلَّا علي القاري رحمه الله تعالى: "قولها: (كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم كله) يعني أنَّ ما لا يصومه من شعبان؛ كان في غاية من القلة, بحيث يُظَنُّ أنه صام كله, فكلمة: (بل) للترقي, ولا ينافي حينئذ قولها: (إلا قليلًا), ولا ما جاء من أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما صام شهرًا كاملًا منذ قَدِمَ المدينة إلا رمضان, ويمكن أن يُحمَلَ أيضًا (كله) هنا على حقيقته, بأن كان هذا قبل قدومه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة, وحينئذ كان: "بل" إضرابًا عن قولها: "إلا قليلًا", وحكمة الإضراب: أنَّ قولها: (إلا قليلًا) ربما يتوهم منه أنَّ ذلك القليل يكون ثُلث الشهر, فبينت بـ: (كله) أنه كان قليلًا جدًا بحيث يُظَنُّ أنه صلى الله عليه وآله وسلم صامه كله"ا.هـ.

وقد سُئل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الصوم أفضل بعد رمضان؟ قال: ﴿ شعبان لتعظيم رمضان ﴾, قيل: فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: ﴿ صدقة في رمضان ﴾(رواه الترمذي وقال: حديث غريب), والنهي عن الصوم في النصف الثاني من شعبان محمول على مَنْ لم يَصِلْهُ بما قبله, ولم يكن له عادةً ولا قضاءً ولا نذرًا, ويُضْعِفُه عن أداء رمضان أو يكسله, فيصوم الفرض بلا نشاط, والله أعلم.

- **شهر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

ومن مزايا شهر شعبان: أنه الشهر الذي نزلت فيه آية الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(سورة الأحزاب: 56), وقد نقل الإمام شهاب الدين القسطلاني في (المواهب اللَّدنية بالمنح المحمدية) قولًا لبعض العلماء: "بأن شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم لأن آية الصلاة – يعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(سورة الأحزاب: 56)– نزلت فيه"ا.هـ., وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله عن أبي ذر الهروي: "أن الأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم – يعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (سورة الأحزاب: 56)– كان في السنة الثانية من الهجرة, وقيل ليلة الإسراء"ا.هـ.

- **ليلة النصف من شعبان:**

ومن هذه الخيرات ليلة النصف من شعبان, فهي ليلة معظمة مباركة مكرمة, يتجلى الله فيها على خلقه بعموم مغفرته وشمول رحمته, فيغفر للمستغفرين, ويرحم المسترحمين, ويجيب دعاء السائلين, ويفرج عن المكروبين, ويعتق فيها جماعة من النار.

أسماؤها:

ذكر بعض العلماء لليلة النصف من شعبان أسماء كثيرة, مما يدل على شرف المُسمى, فمن أسمائها: الليلة المباركة, وليلة القِسْمة, وليلة التكفير لأنها تكفر ذنوب السنة, وليلة الإجابة, وليلة الحياة, وليلة الشفاعة, وليلة البراءة, وليلة الجائزة, وليلة الرجحان, وليلة التعظيم وليلة الغفران.

صفة إحيائها:

اختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين:

أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المسجد, فقد كان خالد بن معدان, ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون, ويقومون إلى المسجد ليلتهم تلك, ووافقهم اسحاق بن راهويه على ذلك, وقال في قيامهم في المسجد جماعة: " ليس ذلك ببدعة ".

والثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء, ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه.

وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى.

فضلها:

وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة متعددة, وهي لا تخلو من ضعف أو انقطاع, وإن كان بعضها أخف ضعفاً, ومع ذلك فقد صحح الحافظ ابن حبان بعضها, وقال ابن حجر الهيتمي في (الدر المنضود): "وقد اتفق الأئمة من المحدثين والفقهاء وغيرهم كما ذكره النووي وغيره, على جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل والترغيب والترهيب, لا في الأحكام ونحوها ما لم يكن شديد الضعف", واشترط العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد: "أن يكون مُندرجاً تحت أصل عام", ونُقل عن شيخ السنة الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه: أنه يُعمل به مُطلقاً – أي بالحديث الضعيف– إذا لم يكن في الباب غيره, ولم يكن ثمة ما يعارضه, وما ورد من الأحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان وفضل إحيائها مما يجوز العمل به مع ضعفه, لتوفر الشروط فيه.

ونذكر أشهر ما ورد في هذا الباب من أحاديث:

أخرج الطبراني, وابن حبان عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه, عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ يطَّلِعُ الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان, فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مُشاحن ﴾, والمُشاحن: منافق شرير يبعث الشقاق, ويوقد نار العداوة بين المتحابين.

وروى البيهقي من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ أتاني جبرائيل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان, ولله عتقاء من

النار بعدد شعور غنم كلب(1) ولا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مُشاحن, ولا إلى قاطع رحم, ولا على مُسْبِلٍ, ولا إلى عاق لوالديه, ولا إلى مدمن خمر ...» وذكر الحديث بتمامه.

وروى الإمام أحمد عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان, فيغفر لعباده إلا اثنين: مُشاحن, وقاتل نفس» وإسناده لَيّن كما قال الحافظ المنذري.

وأخرج الترمذي, وابن ماجة عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: فقدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت, فإذا هو في البقيع رافعاً رأسه إلى السماء فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله» فقلت: ظننت أنك أتيت بعض نسائك, فقال: «إن الله تبارك وتعالى يَنْزِلُ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا, فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب», قال الترمذي: "حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه, وسمعت محمداً - يعني البخاري- يُضَعِّفُ هذا الحديث, وذلك لأن فيه انقطاعاً في موضعين"

وأخرج ابن ماجة عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه, عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان, فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مُشاحن» وهو من رواية ابن لَهيعةَ وفيه كلام, عن الضحاك, عن أيمن الكلبي, قال الذهبي: لا يُدرى من هو؟

وأخرج الطبراني, والبيهقي من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخُشني رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يطلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان, فيغفر للمؤمنين, ويمهل الكافرين, ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه». أي يتركهم حتى يتركوا الحقد. قال البيهقي: "وهو بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد"ا.هـ.

وأخرج البزار, والبيهقي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه, عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان, فيغفر لكل شيء, إلا لرجل مشرك, أو رجل في قلبه شحناء». وإسناده لا بأس به كما قال الحافظ المنذري.

(1) قوله: «بعدد شعور غنم كلب» يعني: غنم بني كلب, وبنو كلب قبيلة كبيرة هم أكثر قبائل العرب, أو من أكثرها غنماً

وأخرج البيهقي بإسناد ضعيف عن عثمان بن أبي العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إذا كان ليلة النصف من شعبان, نادى منادٍ: هل من مستغفر فأغفر له؟, هل من سائل فأعطيه؟, فلا يسأل أحد شيئاً إلا أعطيه, إلا زانية بفرجها, أو مشركاً ﴾ هكذا جاء في رواية البيهقي, وجاء في رواية غيره مطلقاً غير مقيد بليلة النصف.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط, ولفظه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ: هل من داعٍ فيستجاب له؟, هل من سائل فيعطى؟, هل من مكروب فيفرج عنه؟, فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها, أو عَشّاراً ﴾.

وأخرج البيهقي عن العلاء بن الحارث: أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قُبِض, فلما رأيت ذلك قمت حتى حركتُ إبهامه فتحرك, فرجعت, فلما رفع رأسه من السجود, وفرغ من صلاته قال: ﴿ يا عائشة – أو يا حميراء– أظننت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خاس بك؟ ﴾ قلت: "لا والله يا رسول الله, ولكني ظننت أنك قُبِضتَ لطول سجودك", فقال: ﴿ أتدرين أي ليلة هذه؟ ﴾ قلت: "الله ورسوله أعلم", قال: ﴿ هذه ليلة النصف من شعبان, إنّ الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين, ويرحم المسترحمين, ويؤخر أهل الحقد كما هم ﴾, قال البيهقي: "هذا مرسل جيد, ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحول"ا.هـ.

ومما يجب أن يُشار إليه أنه قد ورد أحاديث باطلة مردودة في فضل ليلة النصف من شعبان وكيفية الصلاة فيها وهي مردودة لا يصح العمل بها, ولا نشرها بين العوام إلا للتحذير منها والرد عليها, ولم نأتِ على ذكرها لعدم الإطالة، وفي الصحيح والحسن والمقبول من الفضائل والمحاسن والمناقب, غُنية عنها وكفاية وافية لمن أراد الخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين